سلسلة الإمامين العسكريين (ع)
(١)

الإمام محمد الجواد

أنوار وأسرار

٢٣٩
٢٢
مام
واد
٢

إدارات قسم الثقافة والإعلام ١٤٣١هـ

الإمام محمد الجواد

أنـــــوار وأســـــرار

المقدمة

الحمد لله الكامل بتفرده والباسط سلطانه بنفاذ قدرته والجاعل الملائكة رسلا والأنبياء دعاة لعصمة الخلق أيدهم بالحجج البالغة وأرسلهم بالبراهين الواضحة فشرفهم بشرف الغايات الرساليه وجعل منهم الفاضل والمفضول (وتلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض).

وصلى الله على سيدهم وخاتمهم المبعوث رحمة للعالمين ابي القاسم محمد وأهل بيته المنتجبين الذين اصطفاهم الله ليكونوا حججه على الناس أجمعين

آن هذا الكراس يتناول في جوانبه حياة الإمام التاسع الإمام الجواد عليه السلام الإمام الذي عرفته الدنيا ونزيف القلم عنده لم يجف مداده يرعف كنهمال المطر، عرفته الدنيا والشمس بين يديه يسوقها حيثما يريد، عرفته الدنيا يصنع فجرا من تحت الحطام.

يتشعب هذا الجهد المتواضع الى ثلاث محاور:

المحور الأول:

تناول الجانب الشخصي للإمام من حيث نسبه وكنيته والقابه وملامحه ونشأته إلى غير ذلك من الجوانب الشخصية.

المحور الثاني:

تناول دواعي الإمامة ومقتضياتها وآثرها في واقع الأمة.

المحور الثالث:

تناول كل ما يتعلق بالواقع السياسي والعلمي وما يتفرع عنهما من آثارهما العلمية والعملية والتمهيد لفكرة الغيبة والإعداد لها.

ثم تناولنا بهذا الكراس الشهادة وآثرها في منحنا الوجود المفضي الى حفظ الكرامة الإنسانية.

نسأل الله أن يمّن علينا بقبول هذا الجهد اليسير والمتواضع خدمة للإمام الجواد عليه السلام ومن الله التوفيق.

نسبه الشريف عليه السلام :

(يرجع نسب الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام إلى أسمى وارفع نسب، فهو من صميم الأسرة النبوية التي هي من أجل الأسر التي عرفتها الإنسانية. فأبوه هو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام)[1]. أما أمه فهي من سيدات نساء المسلمين عفة وطهارة وفضلا. أما اسمها فقد اختلفت الروايات فيه فقيل اسمها (الخيزران[2]، والمريسية[3]، وريحانة[4]).

كنيته عليه السلام :

كناد الإمام الرضا عليه السلام بأبي جعفر، وهي كنية الإمام محمد الباقر عليه السلام ويفرق بينها فيكنى الإمام الجواد عليه السلام بأبي جعفر الثاني.

القابه عليه السلام :

وتدل على معالم شخصيته العظيمة وهي (الجواد، والتقيّ، والقانع، والرضي، والمختار، والمتوكل، والمرتضى، والزكيّ[5]، وباب المراد وقد عرف بهذا اللقب عند عامة المسلمين).

سنة ولادته عليه السلام :

ولد الإمام الجواد عليه السلام سنة ١٩٥هـ في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله في كنف أبيه الإمام الرضا عليه السلام. وذكر كل من العيّاشي في (مقتضب الأثر في النص على الائمة الأثنى عشر) وصاحب (كاشف الغمة) أن ولادته عليه السلام في العاشر من شهر رجب، وهذا هو القول المشهور بين اتباع اهل البيت عليهم السلام.

---

١ عيون أخبار الرضا: ٢: ١٤٧.
٢ بحر الانساب: ٢: ١٩٠.
٣ الفصول المهمة: ٢٥٢.
٤ دلائل الامامة: ٢٠٩.
٥ مناقب آل ابي طالب: ٣: ٤٨٣، دلائل الامامة: ٢٠٩.

نقش خاتمه عليه السلام :

أما نقش خاتمه فيدل على مدى انقطاعه إلى الله تعالى. فقد كتب عليه ((العزة لله)).

ملامحه عليه السلام :

كانت كملامح آبائه التي تحكي ملامح الانبياء عليهم السلام فكانت أسارير التقوى بادية على وجهه الكريم

نشأته عليه السلام :

نشأ الإمام الجواد عليه السلام في بيت النبوة والإمامة. ذلك البيت الذي اعز الله به المسلمين. وقد ترعرع عليه السلام في ظلاله وهو يتلقى المثل العليا من أبيه، وقد افاض عليه أشعة انوار العظمة وتولى بذاته تربيته. فكان يصحبه في حله وسفره ويروى عن الامام الرضا عليه السلام قوله عندما سأله (يحيى الصنعاني) عنه: ((نعم يايحيى هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام مولود أعظم بركة على شيعتنا منه)).

انطباعات عن شخصية الامام عليه السلام.

علمه عليه السلام :

ورث الإمام الجواد عليه السلام علمه اللدني من جده المصطفى صلى الله عليه وآله ومن باب علمه أمير المؤمنين عليه السلام ومن آبائه الأطهار الذين زقوا العلم زقا. فكان عليه السلام لا يدانيه احد في سعة علومه ومعارفه وكان اعلم اهل زمانه وادراهم بشؤون الشريعة وأحكام الدين والاحاطة بمصلحة الأمة مما يحتاجه الناس. لقد احتفى بالإمام الجواد عليه السلام اشهر العلماء والفقهاء والرواة وهم ينهلون من نمير علومه وهو ابن سبع سنين. كما رووا عنه الكثير من المسائل الفلسفية والكلامية.

---

٦ نور الابصار: ١٤٦.

٧ الكافي: ٦: ٣٦٠.

عبادته عليه السلام:

كان الإمام الجواد عليه السلام اعبد أهل زمانه، وأشدهم خوفاً من الله تعالى، وأخلصهم في طاعته وعبادته، شأنه شأن الأئمة الأطهار من آبائه الذين وهبوا أرواحهم وعملوا بكل ما يقربهم إلى الله تعالى زلفى، وقد تجسدت مظاهر عبادته في كثرة نوافله صلاة وصوماً، وفي تعقيباته بعد صلاة الفجر، وحجه إذ كان عليه السلام كثير الحج، وكثرة ادعيته التي تمثل مدى انقطاعه إلى الله تعالى، ومن دعائه في الثناء على الله عز وجل: ((يا ذا الذي كان قبل كل شيء، ثم خلق كل شيء، ثم يبقى ويفنى كل شيء، ويا ذا الذي ليس في السموات العلى، ولا في الارضين السفلى، ولا فوقهن، ولا بينهن، ولا تحتهن، اله يعبد غيره))[٨].

زهده عليه السلام:

لقد كان الإمام الجواد عليه السلام شاباً في مقتبل العمر، وكانت الحقوق الشرعية ترد إليه من أتباعه ومواليه إضافة لأموال الأوقاف وغيرها، إلا انه لم يكن ينفق شيئاً منها في أموره الخاصة وإنما كان ينفقها على الفقراء والمعوزين والمحرومين، فكان الزهد من ابرز الذاتيات في خلقه بإعراضه عن زهرة الدنيا (ويروى أن الحسين المكاري قد رأى الإمام الجواد عليه السلام في بغداد، وقد كان محاطاً بهالة من التعظيم والتكريم من قبل الأوساط الرسمية والشعبية فحدثته نفسه أنه - أي الإمام - لا يرجع إلى وطنه يثرب وسوف يقيم في بغداد راتعا في النعم والترف، وعرف الإمام قصده، فانعطف عليه وقال له: ((يا حسين، خبز الشعير وملح الجريش في حرم جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أحبُ إليّ مما تراني فيه))[٩].

٨ قبال الاعمال: ١: ٣٤٨.
٩ اثبات الهداة: ٦: ٢٠١.

كرمه ﷺ:

كان الإمام أبو جعفر ﷺ من أندى الناس كفاً وأكثرهم سخاء، وقد لقب بالجواد لكثرة كرمه ومعروفه وإحسانه إلى الناس. وقد ذكر المؤرخون بوادر كثيرة من كرمه، كان منها (أن احمد بن حديد قد خرج مع جماعة من أصحابه إلى الحج، فهجم عليهم جماعة من السرّاق ونهبوا ما عندهم من أموال ومتاع. ولما انتهوا إلى يثرب انطلق احمد إلى الإمام محمد الجواد ﷺ واخبره بما جرى عليهم فأمر ﷺ له بكسوة وأعطاه دنانير ليفرقها على جماعته، وكانت بقدر ما نهب منهم)[10].

الإحسان إلى الناس:

أما الإحسان إلى الناس والبر بهم فانه من سجاياه ﷺ، ومن ابرز مقوماته، وقد ذكر الرواة العديد من هذه المواقف التي جسدت أحسانه ﷺ للناس ومن أشهرها: روى (احمد بن زكريا الصيدلاني) عن رجل من بني حنيفة من أهالي بست وسجستان[11]، قال ((رافقت أبا جعفر ﷺ في السنة التي حج فيها في اول حكم المعتصم فقلت له- وأنا على المائدة: إن والينا - جعلت فداك - يتولاكم أهل البيت ويحبكم وعليّ في ديوانه خراج، فإن رأيت - جعلت فداك - أن تكتب إليه بالإحسان إليّ، فقال ﷺ: لا اعرفه، فقلت: جعلت فداك، انه على ما قلت من محبيكم أهل البيت، وكتابك ينفعني واستجاب له الإمام فكتب إليه بعد البسملة: ((أما بعد، فإن موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً، وهو مذهب أهل البيت ﷺ وان مالك من عملك الا ما أحسنت فيه، فأحسن إلى أخوانك، واعلم أن الله عز وجل سائلك عن مثاقيل الذرّ والخردل))[12]. ولما ورد إلى سجستان عرف الوالي، وهو الحسين بن عبد الله النيسا بوري، أن الإمام

---

١٠ الصراط المستقيم:٢: ٢٠١.

١١ سجستان: مدينة جنوب هراة.

١٢ الخردل: نبات حبه صغير جدا.

قد ارسل إليه رسالة فاستقبله من مسافة فرسخين. واخذ الكتاب فقبله. واعتبر ذلك شرفا له. وسأله عن حاجته فأخبره بها. فقال له: لا تود لي خراجا مادام لي عمل. ثم سأله عن عياله فاخبره بعددهم. فأمر له ولهم بصلة. وظل الرجل لا يؤدي الخراج مادام الوالي حيا. كما انه لم يقطع صلته عنه [13]. كل ذلك ببركة الإمام عليه السلام ولطفه.

مواساة الناس:

لقد واسى الامام الجواد عليه السلام الناس في سرّائهم وضرّائهم. فيذكر المؤرخون: انه قد جرت على (ابراهيم بن محمد الهمداني) مظلمة من قبل الوالي. فكتب الى الامام الجواد عليه السلام يخبره بما جرى عليه. فتألم الإمام وأجابه بهذه الرسالة: ((عجل الله نصرتك على من ظلمك. وكفاك مئونته. وأبشر بنصر الله عاجلا إن شاء الله. وبالأجر آجلا. وأكثر من حمد الله تعالى)) [14].

الإمام المعجزة:

لكي نتعلم كيف نعيش الإسلام من خلال الصفوة الطيبة من أهل البيت عليهم السلام وكيف نواجه حاضرنا من خلال الخطوط المضيئة في ماضينا. من اجل أن نصنع مستقبلنا جميعا على أساس وحي الله وتعاليم رسوله صلى الله عليه وآله التي انطلق بها أئمة أهل البيت عليهم السلام. و جسدوا في كلماتهم وتعاليمهم وأعمالهم وسيرتهم كل ما انطلق به الكتاب وما تحركت به السُنة. والإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام احد أفذاذ تلك الصفوة الطيبة. فهو الذي انفتح على خط الإمامة مبكراً بحيث يمكن ان يصدق عليه ما صدق على ((يحيى)) عليه السلام في نبوته بقوله تعالى ((وآتيناه الحكم صبيا)) [15]. فقد عاش بعد وفاة أبيه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام مسؤولية الإمامة. حيث يمكننا ان نسميه بـ

١٣ بحار الانوار: ٥٠: ٣٣٤.
١٤ بحار الانوار: ٥٠: ١٠٨.
١٥ مريم: ١٢

(الإمام المعجزة) لأن إمامته انفتحت على كل الواقع وهو بعدُ في سنّ الصّبا. فحيرّ العقول وأذهل أصحاب الأفكار بعلمه الوافر وأجاباته على اعقد المسائل. وقدرته على تبيان حكم الله في شريعته.

وقد استطاع عليه السلام منذ حداثة سنّه أن يظهر ثبات الإمامة وصلابتهما حيث يروى محمد ابن طلحة فيقول: ((لما توفي والد الرضا عليه السلام وقدم المأمون إلى بغداد بعد وفاته (أي الرضا) عليه السلام بسنه. اتفق انه خرج للصيد فاجتاز بطرف البلد في طريقه. والصبيان يلعبون ومحمد الجواد عليه السلام واقف معهم، وكان عمره يومئذ (احدى عشرة سنة). فلما اقبل المأمون انصرف الصبيان هاربين ووقف ابو جعفر محمد عليه السلام فلم يبرح مكانه. فقرب اليه المأمون. فنظر اليه. وكان الله عز وجل القى عليه مسحة من قبول المأمون. وقال له: يا غلام. ما منعك من الانصراف مع الصبيان ؟ فقال له محمد الجواد عليه السلام مسرعا ((يا أمير المؤمنين. لم يكن بالطريق ضيق لاوسعه عليك بذهابي. ولم يكن لي جريمة فاخشاها. وظني بك حسن انك لا تضرُّ من لا ذنب له. فوقفت)) . ان هذا الموقف الصلب والمتزن يدل على وعي عميق للامور التي تترك تاثيرها على الإنسان في مواجهته للسلطة لتدفعه إلى الخوف والهرب منهما. فلماذا يخاف اذا لم يكن له جريمة يعاقب عليها ؟ ولماذا يتراجع عن موقعه في الطريق اذا كان يتسع لمرور الآخرين من دون أن يضيق عليهم بمكانه ليزول عنها ؟ وإذا كان الحاكم متوازنا عادلا في احكامه وعلاقته بالناس. فلماذا يخشى منه اذا كان بريئا من كل ذنب ؟! هذا بالاضافة الى شجاعة الموقف وجرأة الخطاب وصلابة الارادة. مما لا يصدر من صبي يختزن عقل الصبا في شخصيته. بل ان ذلك يكشف عن عقل مفكر واسع منفتح على الواقع من خلال ملكة قدسية ربانية. وهذه هي الملكة التي فرضت احترامه على المأمون وعلى الناس المحيطين به. كما نرى ذلك فيما بعد.

---

١٦ كشف الغمة ج ٢ ص ١٨٧

مناظرات العلمية

ان من يستقرئ سيرة الائمة من اهل البيت عليهم السلام يجد أنّ كل امام منهم كان هو البارز من علماء عصره في علوم الشريعة والحياة، لذا يكون مشرع العلماء، ومرجع المفكرين والفقهاء. فكانت مدرسة ائمة اهل البيت عليهم السلام من لدن فقيه الامّة، وإمام العلماء، ومرجع الصحابة، الامام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وحتى آخر إمام من الائمة الاثني عشر، من تلك الذرية المباركة. والبيت المطهّر. فهي اذن مدرسة واضحة المعالم، محدّدة الاسس والاركان والمنهج. وقد ساهم ائمة اهل البيت المطهرين، والعلماء الذين تربّوا في مدرستهم، وحلقات درسهم، واخذوا عنهم علوم الاسلام، ساهموا في انشاء تلك المدرسة، وتثبيت اركانها العلمية، وتوسيع آفاقها، في التوحيد والتفسير والفقه والحديث وعلوم الفلسفة والكلام واصول الفقه وغيرها من العلوم والمعارف الاسلامية. حتى تميزت تلك المدرسة العلمية على مر العصور، من بين مدارس المذاهب والمعارف الاسلامية الاخرى، بثراء عطائها واستمرار روافدها، في علم التوحيد والفقه والاصول والحديث ومنهج البحث والتفكير والاستنباط. ومن الاساليب المهمّة والمؤثرة التي اتبعها أهل البيت عليهم السلام لنشر الفكر الاسلامي، وتفقيه الامّة وتثقيفها والحفاظ على اصالة وبقاء الشريعة الاسلامية، اسلوب المناظرة والحوار العلمي.

وقد حفظت لنا كتب الحديث والرواية انماطاً غنيّة من الاحتجاج والمناظرة والحوار في شتى صنوف العلم والمعرفة، والدفاع عن الاسلام، وتثبيت اركانه في مجال التوحيد والفقه والتفسير والرواية وامثال ذلك.

روى الشيخ المفيد في كتاب (الإرشاد): وكان المامون قد شغف بأبي جعفر عليه السلام لما رأى من فضله من صغر سنه، وبلوغه في العلم والحكمة والادب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ اهل الزمان، فزوّجه ابنته ام الفضل وحملها عليه السلام معه إلى المدينة، وكان متوفرا على

إكرامه وتعظيمه وإجلال قدْره. روى الحسن بن محمد بن سليمان، عن عليّ بن ابراهيم بن هاشم عن أبيه، عن الريّان بن شبيب قال: لمّا أراد المأمون أن يزوّج ابنته امّ الفضل ابا جعفر محمد بن عليّ (ع) بلغ ذلك العباسيّين، فغلظ عليهم واستكبروه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرّضا (ع) (بأن اعطاه ولاية العهد)، فخاضوا في ذلك، واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه، فقالوا له: نشدّك الله يا أمير المؤمنين، ان لا تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرّضا، فانّا نخاف ان يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله، وينتزع منا عزّ قد البسناه الله، وقد عرفت حسد بني وبين هؤلاء القوم (من بني هاشم) قديما وحديثا، وما كان عند الخلفاء (العباسيون) قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت، حتى كفانا الله المهمّ من ذلك، فنشدك الله ان تردّنا إلى غمّ انحسر عنّا، واصرف رايك عن ابن الرضا، واعدل الى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: امّا ما بينكم وبين ابن عمّكم فانا طالب، فانتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكان أولى بكم، وامّا ما كان يفعله من كان قبلي بهم، فقد كان قاطعا للرحم، اعوذ بالله من ذلك، ووالله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرّضا، ولقد سألته ان يقوم بالأمر وانزعه من نفسي فأبى، وكان امر الله قدرا مقدورا، واما أبو جعفر محمد بن عليّ فقد اخترته لتبريزه على كافة اهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنّه، والاعجوبة فيه بذلك، وانا ارجو ان يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلموا انّ الرأي ما رأيت فيه.

فقالوا: انّ هذا الصبيّ وان راقك منه هديه، فانّه صبيّ لا معرفة له ولا فقه، فامهله ليتادّب ويتفقّه في الدين، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك، فقال لهم: ويحكم، انني اعرف بهذا الفتى منكم، وانّ هذا من أهل بيت علمهم من الله ومواده والهامه، لم يزل ابناؤه اغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فان شئتم فامتحنوا ابا جعفر بما يتبيّن لكم به ما وصفت من حاله.

الامامة وضروراتها:

منذ اول ملحمة في التاريخ، منذ اول نزف دم، تكتب لقابيل خطيئة هذا الحاكم على التاريخ في جميع مراحله المتسلك بزمام الحكم، قابيل المتدين لكن دينه دين الشرك. يخفق إنسان الإسلام هابيل الانسان المثالي الحقيقي صار ضحية. فعليه صار التاريخ الحاكم على المجتمعات الانسانية هو تاريخ قابيل المنتصر لانه القاتل وبذلك لم يمت بل ظل باقيا يحكم باسم الشرك على طول خط التاريخ وكل ادوات الدين دين الشرك تبرر له وجوده وإبادة الناس دون وجه حق، والحيلولة دون انبعاث هابيل من جديد.

قابيل لبس القناع ذو الثلاث وجوه. ثلاث أبعاد للطبقات الحاكمة على التاريخ فكان قابيل ((الملا)) وقابيل ((المترف)) وقابيل ((الراهب)) تلك الوجوه التي طالما حاربها الإسلام دين الله ودين إبراهيم الخليل ودين موسى وعيسى ودين الأنبياء ودين نبي الإسلام، فكانت جولات وجولات، صراع يمتد وثورات تعلن ضد هذا القابيل ذي الثلاثة وجوه، يثورون ضد الوجوه الثلاثة على التوالي ضد ((الملأ)) ضد ((المترف)) ضد ((الراهب)).

لان هؤلاء الثلاثة منهمكون دائما فاصرهم يُثقل أعناق الناس، أحدهم يحني ظهورهم بالقوة، والآخر يفرغ جيوبهم والثالث يهمس في آذانهم اصبروا... زخرف الحياة الدنيا... لا قيمة لها.

هكذا بدأ نظام الثلاثة وجود عمله في الإسلام لتصل النوبة الى الامام الجواد (ع). تنمرّ هذا النظام وبدأ يحط رحاله ويعلن عن نفسه رسميا دون أدنى تنكر، من اجل حكم سري وراثي فما عاد هذا النظام يبالي بالتصريح بالمخالفة، بل حتى لم يتظاهر بالإيمان، مولا انحرافه العملي عن دين الله انه يصنع النظام شيئا يتلائم مع العصر، وما كان من دين الله فهو ماضي خلق لا ينهض بالواقع هكذا ادعى قابيل ذو الثلاث وجوه، وهنا كان العدل الإلهي القاضي أن للحق لابد من دولة تعيد الموازين الى نصابها، ولابد من رجل

عظيم توازي عظمته هذا الموقف الجسيم، أعدّ لمنصب النيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا بمقتضى الأمانة الكبرى الداعية إلى حمل الناس وفق النظر العقلي الى جلب المصالح الدنيوية، وبمقتضى النظر الشرعي إلى حمل الكافة على الاعتبار بالمصالح الأخروية فهي في الحقيقة - الإمامة - هي خلافة صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا.

الإمام ﷺ وحكام عصره:

بعد قتله لأخيه الأمين وانتصاره عليه تولى المأمون حكم بني العباس في سنة ١٩٨هـ[١٧] وسرعان ما أعلن خلع اخيه (القاسم بن هارون العباسي) من ولاية العهد فخلا المركز بعضا من الوقت، ثم اختار له الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ، تحت ضغط الظروف المحيطة به، كان المأمون فيما قيل عنه: ((فطناً شديداً كريماً)) ((مشاركا في علوم كثيرة))[١٨]. لكن جلباب الخلافة الإسلامية الذي ارتداه ذلك الفطن المشارك في العلوم لم يردعه عن ارتكاب المحرمات، ولم يمنعه من فعل المحظورات، وكانت قصص مجالس خمره ولهوه مأثورة ومعروفة[١٩]، ولعل اعجبها واغربها ما رواه الطبري في اخبار زواج المأمون (ببوران)، في شهر رمضان من سنة عشر ومائتين، وقد أفطر الحاكم العباسي في إحدى تلك الامسيات ((هو والحسن والعباس[٢٠]..... حتى فرغوا من الإفطار وغسلوا ايديهم، فدعا المأمون بشراب، فأتى بجام ذهب فصب فيه وشرب، ومد يده بجام فيه شراب إلى الحسن فتباطأ عنه الحسن لأنه لم يكن يشرب قبل ذلك، فغمز (دينار بن عبد الله الحسن) فقال له الحسن: يا امير المؤمنين ! اشربه بأذنك وامرك ؟ قال المأمون: لو لا امري لم امدد يدي إليك.

---

١٧ مروج الذهب: ٣: ١٢٧.

١٨ النخري: ١٩١.

١٩ تاريخ البري: ٨: ٥٧٨.

٢٠ الحسن والعباس من ندماء المأمون اثناء حكمه

فاخذ الجام فشربه !!)) [21]. وبعد موت المامون سنة ٢١٨هـ[22]. اصبح اخوه المعتصم على راس السلطة العباسية آنذاك عرف المعتصم بتدني مستواه العلمي حيث كان ((يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة)). وكان ((اذا غضب لا يبالي من قتل ولا ما فعل))[23]. كما اشتهر بحبه لجمع الاتراك وشرائهم من ايدي مواليهم. ((فاجتمع له منهم اربعة الاف. فالبسهم انواع الديباج والمناطق المذهبة..وميزهم بالزي عن سائر جنوده. وكان الاتراك يؤذون العوام في بغداد بجريهم الخيول في الاسواق. وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك. فكان اهلهما ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامراة او شيخ كبير او صبي او ضرير. فعزم المعتصم على النقلة منهم... فلم يزل يتنقل... ويتقرّى المواضع. فانتهى الى موضع سامراء. ((فكان ذلك سبب بناته سرّ من رأى وتحوله اليها)) [24]. وكان المعتصم فيما ذكر المؤرخون شاربا للخمر[25]. مشاركا في مجالس الطرب والغناء وبقي على هذا الحال حتى مات سنة ٢٢٧هـ[26].

هذا هو حال وسيرة حكام الجور من بني العباس الذين عاصروا الامام الجواد عليه السلام ايام نشاته وتوليه منصب الإمامه وحتى يوم استشهاده مسموما عليه السلام. وعندما تتضح لنا السمات المميزة لكل من المامون والمعتصم وما قيل فيهما من معاقرة الخمر والملاهي. والعبث باموال المسلمين. والقتل عند الغضب بلا مبالاة وما يقابل ذلك من سمات الامام الجواد المميزة وما ورد في علمه وعبادته وتقواه ومجموع صفاته المرتبة بسمو ذاته. ننتهي الى نتيجة قطعية الحكم مسلمة الثبوت بان الامام الجواد عليه السلام هو الإنسان الجامع لكل الصفات والشروط المطلوبة في المرشح لإمامة المسلمين. وان

---

٢١ تاريخ الطبري: ٨: ٦٠٦.
٢٢ تاريخ الطبري: ٨: ٦٥٧.
٢٣ تاريخ الطبري: ٩: ٢٢١.
٢٤ مروج الذهب: ٩: ٢٢١.
٢٥ تاريخ الطبري: ٩: ١١٩.
٢٦ تاريخ الطبري: ٩: ١٢٢.

اللذين ادعيا الإمامة في زمانه لم يكونا متطابقين مع تعاليم الاسلام في التصرف والعمل والسلوك. ولم يتمثل فيهما الحد الادنى من شروط الامامة ومواصفاتها المجمع عليها. دينا وفقها. وعلما والتزاما وورعا وفضائل وخلق رفيع.

الواقع السياسي في عصر الامام عليه السلام

جموع الناس المنهمكين بطوافهم المقدس في دوامات جماهيريه حول مطامعهم ومصالحهم ككعبتهم المقدسة يسعون في تواصل مطرد كسعيهم بين الصفا والمروة. يهدون دينهم يضحون به كما يضحي الحجيج بالبدن. لا يلوون على شيء سوى رمي بعضهم البعض بجمرات الحقد والاحن. محلقين رؤوسا للشحناء والفتن.

والامام الجواد عليه السلام يناديهم وقد تركود وراء ظهورهم. ما قيمة طوافكم وان الرحلة قد بدأت ملاذا تنتظرون بالجسد الخاوي ولم الطواف وقد فقدتم الهدف والاتجاه.

تركوا الامام وحيدا. تركوا الحركة لأنها فقدت الاتجاه والهدف واصبحت لا معنى لها. تركوا الإمام لامامته دونما تواصل وحركه. لان الإمامة في سمتها تعني الاتجاه والهدف والباقي من الاعمال لا تمثل الا شكلا ميكانيكيا من طاف وحج ولبى أو مشى على خط مستقيم أو سعى مهرولا أو بقوس نصف دائري ليس ثمة فرق ابدا مادامت الحركة غير موجهة وليس لها محور وهدف. فان شاءت ان تبكي يوم استشهد الإمام الجواد عليه السلام أو ان تضحك لا فرق ابدا مادام لا محور لها ولا هدف.

قرر الامام عليه السلام ان يهجرهم وينطلق إلى ربه في رحله ملؤها العزيمة والتوثب لمواجهة قابيل ذي الوجوه الثلاثة. لانه يرى النظام الذي بدا به بآدم أخذ بالانحراف منذ قتل هابيل وتسلط حكم قابيل واستمر يحكم بأمر الله وباسم التوحيد والشرك معا وباسم دين موسى وعيسى ومحمد. والوثنية والتثليث والثنوية ويرى في قبالة ذلك انقراض ومحو رسالة آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام.

لقد كانت الدعوة دعوة سلمية في إرجاع الأمة إلى قواعد الدين ونبذ كل ما يمت بأصله الى قارونية الظلم والجهل واستعباد الناس لاسيما ان الواقع السياسي للأمة آنذاك يكشف عن السمات البارزة في ذلك العصر. إذ انه العجلة التي تدور على محورها مجمل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والفكرية فتنعكس عليه سلبا وايجابا.

وما ذاك إلا ليكون الحكام في عصره يمتلكون موارد الأحداث والتغيير بسطوتهم وسلطتهم وسيطرتهم على منابع الثروة والتي هي مفاتيح التغير الاجتماعي والفكري والاقتصادي وبامتلاكهم السلطة التنفيذية كانوا يمتلكون رقاب الناس فيعبثون في مقدراتهم فسادا. اجل ان مثل هذه الظروف وفي ظل تلك الأجواء حيث بعثت الأرستقراطية الجاهلية من جديد. وتزيين الجور برداء الشرعية والقداسة وموت امل الحرية والمساواة الذي احياه الإسلام في قلوب ضحايا القوة والثروة والتهمت الجاهلية القومية ميراث الثورة الإنسانية وارتفع كتاب الصدق فوق رماح التظليل والخداع وانطلقت مناثر المساجد ترفع اذان الشرك واضحى خوار عجل السامري الذهبي صرخات توحيد تملأ الارجاء وليصبح الإيمان بعد ذلك اداة بيد الكفر. وسيف الجهاد بيد الجلاد وذهبت معاناة المجاهدين أدراج الرياح. وتوارث المنافقون كنزا تانها واصبحت الزكاة نهبا لأطماعهم. والصلاة خداعا للعوام. والتوحيد قناع الشرك والإسلام أصفاد الاستسلام والسنة منطلق النظام الحاكم والقرآن اله الجهل والرواية اله التزوير والكذب. والهبت السياط الظهور مرة ثانية والحجر يوضع من جديد على صدر بلال. وسيقت الشعوب إلى معسكرات الأسر القديمة وكبلت الحرية بالقيود السرمدية.

كل ذلك والامام عليه السلام يعاني ما تعانيه الأمة. وما يجري عليها يجري عليه. سيما انه عليه السلام كان مكشوفا أمام الامة بكل طبقاتها تتفاعل معه مباشرة في قضاياها الروحية والدينية والأخلاقية. لذا سلطت عليه الأضواء الخاصة من قبل الخليفة العباسي المتخذ الخط العدائي

لأئمة أهل البيت عليهم السلام. لقد خشي المعتصم من بقاء الامام الجواد عليه السلام بعيداً عنه في المدينة. لذلك قرر استدعاءه إلى بغداد حتى يكون على مقربة منه يحصي عليه أنفاسه ويراقب حركاته وجلبه من المدينة. فورد بغداد لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين وكان هذا الاستقدام بمثابة الاقامة الجبرية تتبعه عملية اكبر وهي التصفية الجسدية.

الإمام الجواد عليه السلام والبناء الرسالي للجماعة الصالحة

تحقيقاً لأهداف الرسالة وتعزيزاً لتواصل الاسلام في جميع المراحل مع جميع الظروف كان الإمام ينطلق من هذه الرؤية للتحرك وفق مجالات رحبة رغم كل الظروف الصعبة والمعرقلة التي احاطت تحركاته. لذا سعى عليه السلام أن يخط لنفسه نماذج من التحرك في الميادين التي كان يتوخى منها إعداد الامة وطلائعها إعداداً رسالياً. فحاول بكل جهد تعميق البناء الفكري والثقافي لدى الكوادر المهمة في المجتمع ثم التركيز في إنماء الجانب العقائدي لهم. لقد أثرى الإمام عليه السلام العقيدة الاسلامية بالتصورات السليمة عن الله (عزوجل) وانها هي الركيزة الجوهرية التي ترجع اليها باقي المفردات العقائدية. ومن هنا كان الامام يعني عناية فائقة وشديدة بايضاح هذا الاساس وبيانه في المحاضرة التي ألقاها (علي داود بن القاسم الجعفري). وفي هذا الدليل على ان الامام عليه السلام كان حريصاً في ترسيخ المفردة العقائدية السليمة في ذهنية الفرد المسلم. فقد قال الجعفري: ((قلت لابي جعفر الثاني عليه السلام (قل هو الله احد). مامعنى الاحد. قال: المجمع عليه بالوحدانية اما سمعته يقول: ((ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله.[27] ثم يقولون بعد ذلك: له شريك وصاحبة فقلت: قوله ((لاتدركه الابصار))[28] قال: يا ابا هاشم: اوهام القلوب ادق من ابصار العيون. انت قد

٢٧ العنكبوت (٢٩): ٦١.
٢٨ الانعام (٦): ١٠٣.

تدرك بوهمك السند والهند، والبلدان التي لم تدخلها، ولم تدرك ببصرك ذلك، فإفهام القلوب لاتدركه، فكيف تدركه الابصار.

وسئل عليه السلام أيجوز ان يقال لله: انه شيء ؟

فقال: نعم تخرجه من الحدين: حد التعطيل وحد التشبيه - حد التعطيل هو عدم أثبات الوجود والصفات الكمالية والفعلية والاضافة له تعالى، وحد التشبيه الحكم والاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات وعوارض الممكنات -

ثم ان الامام عليه السلام من جملة مشاريعه التربويه التي يهدف من خلالها بناء الركيزة والدعامة القوية في الشخصية المسلمة هي محاربة للغلو ونقصد به الغلو باهل البيت والذي انتشر في عهده وهو من الانحرافات الخطيرة لذا فقد وقف الامام عليه السلام بالمرصاد لامثالهم فردهم وأفحمهم وامر أتباعه بالابتعاد عنهم.

وقد سار الإمام على نهج أبائه في هذه المسألة وكان حذرا من نشأة بذور الغلو. كما يظهر ذلك من خلال ترصده لبعض الممارسات. ثم ان الإمام بروح متابرة عمل على تعميق البناء العلمي فكان يتحرك نحو اكمال الصرح العلمي الذي اشاده الأئمة عليهم السلام وأبائه الكرام. وفي حيز هذا النشاط نلاحظ اجاباته على الاستفسارات العلمية والفقهية. ثم العمل على بناء المنهج الاسلامي العام لفهم الشريعة واستنباط احكامها وهذا دليل جلي على ما ذهبنا اليه من أن الامام كان يعد الأمة وبالخصوص اتباع أهل البيت عليهم السلام لتقبل المرحلة المقبلة والتي سوف تكون مرحلة الغيبة أي مرحلة أن لا نص. لذا كان يعد النخبة لاستنباط الحكم الشرعي من مظانه. وخلق جماعة المجتهدين الذين يركن الى فتواهم.

ثم انا لا نغفل ما لاهمية البناء التربوي والمفردات الأساسية التي اهتم بها الإمام عليه السلام في هذا المجال ومسالة بناء الخلق الإسلامي عند الفرد والمجتمع. نقد كان الإمام عليه السلام في سياق تربية الامة ينقل لهم احاديث اجداده خصوصا امير المؤمنين عليه السلام لما تحتويه من توجيهات تربوية عميقة ومؤثرة.

التمهيد العلمي والعملي لمفهوم الغيبة:

من المسلم به القول بان من أهم الادوار التي قام بها الإمام بعد كونه القائد الروحي والمعنوي للأمة في حياته الشريفة هو الدور التمهيدي العملي والعلمي لغيبة الإمام الحجة، وترسيخ فكرة الانتظار الخاص الذي يتسم بالايجابية لان مفهوم الانتظار العام مفهوم يعمل على الدعاء والاستسلام والسلبية. هو سلاح المنتفعين للدفاع عن الوضع السائد والواقع الفاسد واهم مادة لتبرير الفساد المتصاعد المتفاقم يوما بعد يوم واكبر دليل لاقناع الناس بالاستسلام للظلم والتطبع على الفساد. والايمان بان كل ما يجري انما هو ناموس الكون وقانون الطبيعة ومشيئة الله حتى يبلغ اليوم الموعود ويحين وقت الانقاذ على يد ذلك المنقذ. فلا يمكن لليدي ولا يدك ولا اي يد تغير ذلك الواقع المرير. نعم لك ان تستنكر الفساد والظلم والمفسدين والظالمين... لكن بقلبك وان تلعنهم وتتبرأ منهم... لكن بقلبك فقط.

لذا حاول الامام الجواد (ع) التعامل مع الفكرة - الانتظار - بطرح موضوعي وعملي ليسهل على اتباعه التفريق بين الانتظارين واعدادهم الاعداد الذي يمكنهم من تجاوز المرحلة بنجاح وان يميزوا الوجه الناصع من بين غابة من وجوه المقدسين - الخوارج - ذوي الجباه السود المتوحشين بالتقوى وثقنات السجود في جباههم يحفظون القران شعارهم لا حكم الا لله. متصلبون. عوام لا يفهمون شيئا. ادوات مقدسة للجناية والجريمة. ضالون مضلون يؤمنون بقتال الحقيقة.

لقد قام الامام الجواد (ع) بمسحة الأب الرؤوف بابنائه يضع لهم ما يكون دليلا للأمة في التمييز بين الوجوه كما قلنا. فوجه الرجل الذي يحاكي عليا في دينه وقيمه في مثل هذا الجو الذي يدعو الى الريبة وسوء الظن. فاستخدم اسلوب الطرح العلمي باسلوب الاحتجاج عن الناس وايكال امر التبليغ إلى الوكلاء الذين يختارهم من خاصة أصحابه. لغرض تهيئة الذهنية العامة كي تستسيغ هذا النمط من التعامل ويحسن تقبلها له. وهذا النظام - نظام الوكالة - عمل به

حتى قبل الإمام الجواد عليه السلام من قبل الائمة الأطهار، الا أن الإمام اتخذه منهجا عمليا لقرب العهد ودواعي المصلحة والغاية أن هذا الاسلوب يحقق ارتباطا رصينا بين الامة - القاعدة الموالية - وبين قادتها - الائمة عليهم السلام - ثم أن هذا الاسلوب يزيد من ثقة الأتباع بالوكلاء والنواب سيما وانهم منصوص على ثقتهم ذوي صلاح وامانة وعدل وانهم أعدّوا لهذا الامر من قبل الامام.

ثم أن الامام ومن قبله من الأئمة كانوا جادين بترسيخ الاعتقاد وبضرورة خروج الإمام الحجة عجل الله فرجه وانه جزء من رسالة الإسلام بمفهومه الصحيح إذ لابد أن يسود الأرض ولابد لأحكام الوضعية أن تتحطم على صخر الظهور، ولابد لله أن ينقذ عباده من شرور وويلات تلك الأحكام والحكام على يد هذا الإمام العظيم فقد توارثت الاخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الائمة الأطهار عليهم السلام بحتمية خروج الإمام - قائم آل محمد عليهم السلام - وقد بشر به الامام الجواد عليه السلام في أكثر من مناسبة ومناسبة، فقد روي عن (عبد العظيم بن عبد الله الحسني)، قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى عليهم السلام: اني ارجو أن تكون القائم من اهل بيت محمد صلى الله عليه وآله الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا فقال: ((يا ابا القاسم، ما منا إلا هو قائم بأمر الله عزوجل وهاد لدين الله، ولكن القائم الذي يطهر الله تعالى به الأرض من أهل الكفر والجحود، يملأها عدلا وقسطا: هو الذي تخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه ويحرم عليهم تسميته، وهو سمي رسول الله وكنيته، وهو الذي تطوى له الأرض، ويذل له كل صعب، ويجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر ((ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا)) من اقاصي الأرض، وذلك قوله تعالى: ((أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا، أن الله على كل شي قدير))[٢٩]، فاذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص، اظهر الله أمره، فاذا أكمل له العقد، وهو عشرة الاف رجل، خرج باذن الله، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله (عز وجل) قال عبد العظيم: فقلت له سيدي، وكيف يعلم

٢٩ البقرة ١٨٢.

الله (عز وجل)قد رضي ؟ قال: ((يلقي في قلبه الرحمة. فإذا دخل المدينة... أخرج اللات والعزة فأحرقها)) [30].

من أجوبته وعظاته عليه السلام

قال له رجل: أوصني يا ابن رسول الله. قال عليه السلام: أو تقبل؟ قال: نعم. قال عليه السلام: توسد الصبر واعتنق الفقر وارفض الشهوات وخالف الهوى. واعلم بأنك لم تخل من عين الله فانظر كيف تكون.

وقال عليه السلام: من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله. وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس.

وقال عليه السلام: تأخير التوبة اغترار وطول التسويف حيرة والاعتلال على الله هلكة والإصرار على الذنب أمن لمكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وقال عليه السلام: المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه. وقد عادالك من ستر عنك الرشد إتباعاً لما تهواه. والحوائج تطلب بالرجاء وهي تنزل بالقضاء والعافية أحسن عطاء.

وقال عليه السلام: لا تعاد أحداً حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى. فإن كان محسناً فإنه لا يسلمه إليك وإن كان مسيئاً فإن علمك به يكفيك فلا تعاده. ولا تكن ولياً لله في العلانية وعدواً له في السر.

وقال عليه السلام: التحفظ على قدر الخوف. والأيام تهتك لك الأمر عن الأسرار الكامنة. لا يضيع من الله كافله ولا ينجو من الله طالبه. ومن عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر ممن يصلح. إياك ومصاحبة الشرير فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره. كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة. عز المؤمن غناه عن الناس. راكب الشهوات لا تستقال له عثرة [31].

٣٠- أكمال الدين وإتمام النعمة: ٢: ٤٩.

٣١- سيرة الائمة الاثني عشر - هاشم معروف الحسني القسم الثاني - ص٤٤٢ - ٤٤٥.

وقال عليه السلام: العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء، وأن يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم، وأن العلماء غرباء لكثرة الجهّال بينهم.

سئل عليه السلام عن المقصود من الحديث أن الله حرم ذرية فاطمة على النار، فقال: ذاك خاص بالحسن والحسين عليهما السلام.

وقال عليه السلام: لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر هواه وشهوته على دينه.

وقال عليه السلام: موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر[32].

وقال عليه السلام: أوحى الله إلى بعض الأنبياء: أما زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة، وأما انقطاعك إلي فيعززك بي، ولكن هل عاديت لي عدوا ووالّيت لي وليا.

روي أنه حمل له حمل بزّ له قيمة كثيرة، فسل في الطريق، فكتب إليه الذي حمله يعرفه الخبر، فوقّع بخطه (إن أنفسنا وأموالنا من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة يمتع بما متع منها من سرور وغبطة ويأخذ ما أخذ منها في أجر وحسبه فمن غلب جزعه على صبره حبط أجره ونعوذ بالله من ذلك[33].

وقال عليه السلام: إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدةٌ له[34].

وقال عليه السلام: اتئد تصب أو تكد[35].

وقال عليه السلام: راكب الشهوات لا تستقال له عثرة[36].

وقال عليه السلام: إذا نزل القضاء ضاق الفضاء[37].

وقال عليه السلام: غنى المؤمن غناه عن الناس[38].

---

٣٢ - سيرة الأئمة الاثني عشر - هاشم معروف الحسني القسم الثاني - ص٤٤٦.

٣٣ - تحف العقول: ص٣٣٥.

٣٤ - تحف العقول ص٣٣٦.

٣٥ - بحار الأنوار: ٣٤٠/٧١.

٣٦ - بحار الأنوار: ٧٨/٧٠.

٣٧ - بحار الأنوار: ٣٦٤/٧٨.

٣٨ - بحار الأنوار: ٣٦٤/٧٨.

استشهاد الإمام الجواد عليه السلام:

حدت الدوافع بالمعتصم العباسي في اغتيال الإمام الجواد عليه السلام مستخدماً أم الفضل أداة لتنفيذ الجريمة.

يقول المؤرخون أن (أم الفضل) ارتكبت جريمتها بحق الإمام الجواد عليه السلام عندما سقته السم، فقد روي: أن المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر عليه السلام وأشار على ابنة المأمون وهي زوجة الإمام عليه السلام بأن تسمه لأنه وقف على انحرافها عن أبي جعفر عليه السلام وشدة غيرتها عليه، فأجابته إلى ذلك وجعلت سماً في عنب رازقي ووضعته بين يديه، فلما أكل منه ندمت وجعلت تبكي فقال: ما يكاؤك؟ والله ليضربنّك الله بفقر لا ينجبر وبلاء لا يستر. فماتت بعلّة في أعمض المواضع من جوارحها. صارت ناصوراً فانفقت مالها وجميع ما ملكته على تلك العلّة. حتى احتاجت إلى الاسترفاد[39].

اثر السم في الإمام الجواد عليه السلام تأثيراً شديداً حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ولسانه يلهج بذكر الله تعالى. فاستشهد عليه السلام ولكن بقي رغم استشهاده شعلة مشرقة من انوار الامامة والقيادة المعصومة في الإسلام.

استشهد الإمام الجواد عليه السلام سنة ٢٢٠هـ يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي القعدة وقيل: لخمس ليال بقين من ذي الحجة وقيل: لست ليال خلون من ذي الحجة وقيل في اخر ذي القعدة وهي الرواية المشهورة. فسلام عليه يوم ولد ويوم تقلّد الإمامة وجاهد في سبيل ربه صابراً محتسباً ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

---

٣٩ بحار الانوار: ٥٠: ٦٢-٦٣.

شهادته تمنحنا الوجود:

ان الشهيد هو من يمنح وجوده بالكامل في عملية واحدة ويفنى نفسه من اجل تلك العقيدة وذلك الهدف المقدس الذي يؤمن به وبقدسيته. ومن الطبيعي ان تتسرب قدسية المعتقد والهدف بالكامل إلى الوجود الذي ضحى به الشهيد ولهذا نلاحظ وجوده يعدم في لحظة ويتحول إلى الصفر بيد انه يكتسب قيمة الهدف الذي ضحى من اجله اكتسابا مطلقا ويتحول إلى قداسة مطلقه في ذهن الإفراد وأفكارهم. لقد تحول من الانسان النسبي إلى الإنسان المطلق لأنه ما عاد انسانا. شخصا. فردا وانما هو فكر مقدس لقد راح الفرد فداء للفكر فصار فكرا.

وعليه فنحن لا نرى في الإمام الجواد ﷺ شخصا خاصا. لا نراه ابن الامام الرضا ﷺ فحسب فالجواد اسم للإسلام. للعدالة. للامامة. للتوحيد. ونحن لا نعظم ونقدس منه شخصا فردا حتى نقارنه فيما بعد بغيره من الشهداء لنعرف الأفضل ثم نقيمه على أساس ذلك... ابدا ليس الأمر كذلك فاذا تحدثنا عن الإمام فلا نقصد الجواد الفرد وانما فرد ذاب وضحى بنفسه بأروع صورة يمكن ان يتصورها إنسان ضحى بنفسه بخلوص مطلق في سبيل مقدسات مطلقة فتحول الى قدسية مطلقة وصار ذات تلك المقدسات التي راح ضحيتها ولم يبق منه سوى الاسم واما محتواه فلم يعد فردا وانما هو فكر متجدد ومتجدد قد تحول إلى المصدر والرسالة. صار فكرا يساوي الرسالة. هكذا الامر فمن يستشهد في سبيل الأمة فانه يكتسب قداسة الأمة بتقديس اولئك الذين يعتقدون ان الأمة ليست مجموعة افراد وانما هي روح جماعية تهيمن على الأفراد فحينها يصبح الشهيد تجسيدا معنويا لتلك الروح الجماعية العامة ليكتسب شمولية خالدة ويتحول الى مفردة من مقدسات الأمة.

وحينما يضحي الفرد من اجل العلم فسوف يفقد خصوصياته الفردية ولن يعود فردا وانما يصير علما شهيدا للعلم كما فعل إمامنا الجواد ﷺ.

مما قيل فيه ﷺ شعرا ونثرا :

لقد أجاد العلامة الأديب علي بن عيسى الاربلي ﷺ حيث قال:

الجواد ﷺ في كل أحواله جواد، وفيه يصدق قول اللغوي: جواد من الجودة من أجود، فاق الناس في طهارة العنصر وزكاء الميلاد، وافترع قلة العلى فما فاز به أحد ولا كاد.

مجده عال المراتب سمو، وإلى الشرف رواح وغدو، وفي السيادة اغراق وغلو، وعلى هام السماك ارتفاع وعلو ومن كل رذيلة بعد وإلى كل فضيلة دنو.

تتأرجح المكارم من أعطافه، ويقطر المجد من أطرافه، وتروى اخبار السماح عنه وعن آبائه وأسلافه، فطوبى لمن سعى في ولائه والويل لمن رغب في خلافه.

إذا اقتسمت غنائم المجد والمعالي والفخار كان له صفاياها وإذا امتطيت غوارب السؤدد كان له أعلاها وأسماها.

يباري الغيث جودا وعطية، ويجاري الليث نجدة وحمية، ويبيد السير سيرة رضية مرضية سرية.

إذا عددنا آبائه الكرام وابنائه ﷺ نضم اللآلئ الافراد في عدة، وجاء بمجامع المكارم في رسمه وحده، وجمع شتات المعالي فيه وفي اباته من قبله وفي أبنائه من بعده، فمن له أب كأبيه أو جد كجده؟ فهو شريكهم في مجدهم، وهم شركاؤه في مجده، وكما ملئوا أيدي العفات برفدهم، ملئوا أيديهم برفده.

إلى آخر بديع نثره في الإمام الجواد واكتفينا بهذه المقطوعة خوفا من الأطناب والاطالة.

ولضيق المقام اخترنا احدى القصائد التي قيلت بحقه ﷺ الشاعر المرحوم السيد صالح القزويني، حيث يتناول في طياته مناظراته العلمية ومكانته الرفيعة التي بهرت اعلام عصره حيث يقول:

نص الرضـا أن الجواد خليفتي
عليكم. بأمر الله يقضي ويحكم
هو ابن ثلاث كلم الناس هاديـا
كمـا كان في المهد المسيح يكلّم
سلود. يجبكم وانظروا ختم كتفه
ففي كتفه ختـم الإمامة يختم
وكم لك يا بن المصطفى بان معجز
بـه كل أنف من أعاديـك مرغم
وصاهـرك المأمون لما بـدت له
معـاجزك اللاتي بها الناس سلّموا
اسر ـ امتحانا ـ صيد باز بـكفه
فأخبـرته عمـا يُسرّ ويـكتم
وأرشى العدى يحيى ابن أكثم خفية
وضنوا بما يـأتيه أنك تـفحم
فأخجلت يحيى في الجواب مبينا
عن الصيد يرديه امرؤ وهو محرم
وأنت أجبت السائلين مسائـلا
ثـلاثين ألفا. عالمـا لا تُـعلّم
اقمت وقومت الهدى بعـد سادة
أقاموا الهدى من بعد زيغ وقوّموا

الى اخر القصيدة وهي من القصائد المطولة . وهناك قصائد طويلة لا نأتي على ذكرها لضيق المجال.

الخاتمة

في رحاب سيدنا ومولانا الإمام جُلنا سيرا في تاريخه الثر نقلب أوراقا علّنا نحظى بفيوضات هذا الإمام الفذ ولا ندعي اننا وفقنا في هذه العجالة واستوعبنا كل ما يتعلق بحياته الكريمة وما هذا الا نزرٌ يسير من بحار مآثره وشواسع مراميه وكيف لنا ان نسبغ غور اعماق أسراره وكشف مطاوي علومه وما خفي عنا اعظم وأجل من أن نحيط به.

فمعذرةً إلى الله ورسوله ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام من كل تقصير وقصور وتسويف وإفراط صدر في هذا النتاج المتواضع.

سائلين المولى عز وجل أن يتقبل هذا العمل اليسير ويعفو عن الكثير ويجعلها خدمة على تواضعها خالصة لوجهه الكريم وأن تلقى قبولاً عند إمامنا الجواد عليه السلام.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين.